سلسلة المغامرين الخمسة

بائعة الورد

محمود العلايلي

بائعة الورد

و لبست ثوبها القصير الأكمام الذي كانت قد علقته في الليلة الماضية قرب , تحسست مينا طريقها في عتمة الفجر و جعلت تفتش في الصندوق الكبير عن الكمين المنفصلين الذين يكسوان الذراعين امتثالاً للواجب قبل الذهاب , الفراش حريصة في كل ذلك ألا تحدث أقل , ثم بحثت عنهما فوق المسامير المعلقة على الحائط و خلف الأبواب ...إلى الكنيسة حتى لاحظت , و لكن ما أن اعتادت عيناها العتمة ...التي كانت نائمة في نفس الغرفة , جلبة لكيلا توقظ جدتهما العمياء فقالت الجدة العمياء: ..فذهبت إليها في المطبخ لكي تسألها عن الكمين , أن جدتها قد نهضت من الفراش
- ..إنني غسلتهما أمس بعض الظهر ..هما في الحمام

فعادت مينا بهما إلى ..و لكنهما كانا لا يزالان مبتلين ..معلقين من سلك ممدود بمشبكين , و فعلاً وجدتهما في المطبخ و كانت الجدة العمياء تقلب القهوة و قد سمرت حدقتي عينيها الجامدتين على ..المطبخ و بسطتهما فوق أحجار الموقد جدار الشرفة التي رصت فيها أصص الزهور مليئة بأعشاب طيبة..

قالت لها مينا: "لا تأخذي أشيائي مرة ثانية .. لا يمكنك هذه الأيام أن تتأكدي من طلوع الشمس.."
حركت المرأة العمياء وجهها نحو الصوت و قالت:
- إنني نسيت أن هذا يوم الجمعة الأول من أسبوع الفصح , موعد القداس..
ثم قالت: "رفعت الإناء عن الموقد , و بعد أن تأكدت الجدة بنفس قوي من فمها أن القهوة نضجت
- ضعي قطعة من الورق تحت الكمين , لأن أحجار الموقد متسخة.
و لكن بطبقة من السناج المتحجر الذي لا يمكن أن , فوجدها متسخة فعلاً ..أجرت مينا أصابعها على أحجار الموقد على أنها قالت لجدتها: "يلوث الكمين إذا لم يحتكا بالأحجار ..
- إذا اتسختا فستكونين أنت المسؤولة!..
و قالت و هي تجذب مقعداً شطر الشرفة: "و ما لبثت الجدة العمياء أن صبت لنفسها قدحاً من القهوة
- أنت غاضبة .. و من المحرم أن يذهب الانسان للقداس و هو غاضب...

و عندما انبعث رنين دقات الناقوس الأولى إيذاناً بموعد ..و جلست لشرب القهوة عن كثب من الزهور في الحوش فإن القس لا يرضى دخول أحد إلى ..بيد أنها لبستهما ..فكانا لا يزالان مبتلين , القداس رفعت مينا الكمين عن الموقد و أخذت كتاب الصلاة و الشال من , ثم مسحت آثار الأحمر من وجهها بمنشفة ..الكنيسة بثوب عاري الذراعين و خرجت للشارع , غرفتها...

و بعد ربع ساعة عادت أدراجها...
فقالت الجدة العمياء و هي جالسة في مواجهة الزهور في الحوش:
- سوف تصلين إلى هناك بعد القراءة الأولى..
أما مينا فقالت و هي تتجه إلى دورة المياه:
- "مكركش .. "و الثوب كله , الأكمام مبتلة ..لن أتمكن من الذهاب إلى القداس اليوم
و على الأثر شعرت بعينين فاهمتين تتبعانها..
و ما لبثت العجوز أن هتفت: "لا تذهبين للقداس ..يوم الجمعة الأول!..

و لما عادت مينا من دورة المياه صبت لنفسها قدحاً من القهوة و جلست في المدخل المطلي بالمصيص الأبيض عن و غمغمت في سخط كامن و هي تشعر بأنها توشك ..بيد أنها لم تستطع أن تشرب القهوة ..قرب من العجوز العمياء على الغرق في دموعها الحبيسة:
- أنت السبب!..
فهتفت العجوز العمياء: "أنت تبكين!..
و أضافت و هي تمر قرب جدتها بعد أن وضعت قدح القهوة على الأرضية: "يجب أن تذهبي للاعتراف لأنك جعلتني أضيع قداس يوم الجمعة الأول!..

و ما لبثت أن اتجهت إلى آخر الشرفة ثم ..أما الجدة العجوز فقد لزمت مكانها جامدة تنتظر أن تغلق باب غرفة النوم فقالت و هي تسكب القهوة في الإناء ..انحنت تتحسس حتى عثرت على قدح القهوة على الأرض غير مشروب الخزفي:

..الله يعلم أن ضميري مستريح -

و قالت للعجوز, و في هذه اللحظة خرجت أم مينا من غرفة النوم:

..مع من تتكلمين ؟ -

..!قلت لك قبل الآن انني في طريقي إلى الجنون ..!مع نفسي :فأجابت

ففتحت ..و أخرجت ثلاثة مفاتيح صغيرة معلقة في مشبك "المشد "و عندما احتجبت مينا في غرفتها فكت أزرار و من داخلها أخرجت ..و أجرت منه علبة متوسطة فتحتها بمفتاح آخر "التواليت "بأحدها الدرج السفلي في فأخفت الخطابات داخل مشدها ثم أعادت ..مجموعة خطابات مكتوبة على ورق ملون و مربوطة بحزام من المطاط ..و أخيراً ذهبت إلى دورة المياه و ألقت بالرسائل في المرحاض ..العلبة إلى مكانها و أغلقت الدرج

و لما رجعت مينا إلى المطبخ قالت لها أمها:

..حسبتك في الكنيسة -

و غسلت الأكمام بعد ظهر, أنا نسيت أن هذا يوم الجمعة الأول ..لم تتمكن من الذهاب :فتولت الجدة العمياء الرد قائلة أمس..

..انها لا تزال مبتلة :فغمغمت مينا

..انني أقوم بأعمال كثيرة هذه الأيام :فقالت العجوز العمياء

..ورد لمناسبة عيد الفصح "دستة "و أنا مطالبة بتسليم مائة و خمسين :و قالت مينا

"مشغل الورد الصناعي "و قبل الساعة السابعة كانت مينا قد أعدت ..و لم تلبث حرارة الشمس أن تزايدت مبكراً و إناء, و بكرة خيط, و مقصان, و علبة من ورق الكريب, و لفافة سلك, سلة مليئة بأوراق الورد :في غرفة المعيشة و سألتها على, و بعد برهة جاءت ترينيداد التلميذة المترهبة في الكنيسة تحمل علبة كرتون تحت إبطها ..به غراء فأجابت مينا ..الفور لم لمْ تذهب لحضور القداس:

..لم تكن الأكمام جاهزة -

..كان يمكن استعارة كمين من أي أحد :فقالت ترينيداد

فقالت مينا ..و جذبت كرسياً و جلست قرب سلة أوراق الورد:

..وجدتني متأخرة كثيراً -

فنظرت مينا إلى ..فوضعت ترينيداد علبة الكرتون على الأرض و اشتركت في العمل ..و فرغت من صنع وردة العلبة قائلة:

هل اشتريتِ حذاءً جديداً ؟ -

..هي فئران ميتة :فأجابت ترينيداد

و ..فقد تفرغت مينا لعمل سيقان من السلك مغلفة بورق أخضر, و لما كانت ترينيداد ماهرة في تركيب أوراق الورد التي كانت مزخرفة بصور تزينية و, ظلت كلتاهما تعمل في صمت دون أن تلاحظا تقدم الشمس في غرفة المعيشة فكفت هذه عن العمل و قالت, و عندما تفرغت مينا من صنع السيقان تحولت إلى ترينيداد بنظرة تفيض أسى ..عائلية لها:

ماذا جرى ؟ -

..!إنه رحل :فمالت مينا نحوها و قالت

؟؟ !لا تقولي هذا ...لا :فألقت ترينيداد المقص في حجرها قائلة

..!إنه رحل :فكررت مينا كلماتها قائلة

..و الآن ؟ :و قالت مقطبة, فحدقت ترينيداد فيها طويلاً

..الآن لا شيء :فأجابت مينا بصوت ثابت

و في طريقها ,فاستمهلتها مينا لكي تلقي الفئران في المرحاض ,و قبيل الساعة العاشرة تأهبت ترينيداد للانصراف
:فقالت لها مينا ,مرت بالعجوز العمياء التي كانت تستقي الزهور في الأصص
..أراهن أنك لن تعرفي ما بداخل هذه العلبة -
:قائلة ,فأرهفت العجوز حواسها ...و هزت العلبة بالفئران
...هزيها مرة ثانية -
:فقالت مينا ,بيد أن العجوز لم تستطع أن تتعرف على ما بداخل العلبة رغم هزها مرة ثالثة ,فكررت مينا العملية
.هي الفئران التي وقعت في المصيدة في الكنيسة الليلة الفائتة -

بيد أن العجوز تبعتها إلى غرفة المعيشة لكي ..و عندما عادت أدراجها مرت بجانب الجدة العمياء دون أن تكلمها
:و قالت لها ,تستكمل مينا عملية الورد الصناعي
..فلا تعترفي بشيء لشخص غريب عنك ,إذا أردت أن تكوني سعيدة ..يا مينا -
بيد أن .فجلست الجدة العجوز في المقعد المواجه لها محاولة أن تساعدها في العمل ..تطلعت إليها مينا دون أن تتكلم
..مينا استوقفتها
..لماذا لم تذهبي إلى القداس ؟ ..أنت عصبية :فقالت الجدة العمياء
..أنت تعرفين السبب أكثر من غيرك -
هناك شخص كان ينتظرك في ..لما فكرت في الخروج من البيت ,لو كان السبب الأكمام :فقالت العجوز العمياء
..و هو الذي سبب لك الشعور بخيبة الأمل ,الطريق

:و قالت ,كأنما تمسح لوحاً غير مرئي من الزجاج ,مرت مينا بيديها أمام عيني جدتها
..!أنت ساحرة -
..و أنت لا تذهبين دائماً أكثر من مرة ..إنك ذهبت إلى دورة المياه مرتين هذا الصباح :فقالت المرأة العمياء

:بينما عادت العجوز تقول ,استمرت مينا في استكمال الورد الصناعي
..؟ "التواليت"هل تجسرين على أن تريني ما تخفينه في درج -
:فتركت مينا الوردة التي بيدها متمهلة و أخرجت المفاتيح الثلاثة الصغيرة من مشدها و وضعتها في يد العجوز قائلة
...اذهبي و انظري بعينيك -
:و قالت ,فجعلت العجوز تفحص المفاتيح بأناملها
..!إن عيني لا يمكنها الرؤية في قاع المرحاض -
و لهذا ..فقد شعرت أن الجدة العمياء عرفت انها تتطلع إليها ..و عندئذ اعتراها إحساس مختلف ,رفعت مينا رأسها
:قالت لها
..!انزلي في المرحاض إذا كان ما افعله يهمك إلى هذه الدرجة -
:و قالت ,تجاهلت الجدة العجوز هذا الرد اللاذع
..أنت دائماً تجلسين في الفراش و تكتبين حتى الصباح المبكر -
..أنت نفسك تطفئين النور قبل النوم :فقالت مينا
..من صوت انفاسك ,و بإمكاني أن أعرف أنك تكتبين ..و في الحال تنيرين أنت بطاريتك :فعاجلتها العمياء قائلة

:و قالت دون أن ترفع رأسها ,بذلت مينا جهداً للاحتفاظ بهدوئها
..فما هو الغريب في ذلك ؟ ,و لنفرض أن هذا هو ما يحدث ..جميل -
..إلا أن هذا أضاع منك حضور قداس يوم الجمعة الأول ..لا شيء :فردت العجوز قائلة

و ألقت بها جميعاً في ,و عند هذا الحد حملت مينا بكلتي يديها بكرة الخيط و المقصين و كومة من الورود التي لم تتم
:ثم واجهت الجدة العمياء قائلة ,السلة
هل تحبين أن أقول لك مالذي ذهبت لكي أفعله في المرحاض ؟ -
:قائلة ,و ظلت الإثنتان متحفزتين إلى أن تولت مينا الرد بنفسها
..!ذهبت لكي آتي ببعض المخلفات -
:و غمغمت قائلة و هي تتجه إلى المطبخ ,و عندئذ طوحت الجدة العمياء بالمفاتيح الصغيرة في السلة

و كان يمكن أن تقنعيني لولا أنها المرة الأولى في حياتك التي سمعتك فيها ,كان يمكن أن يكون سبباً لا بأس به - تشتمين..!

و قالت :و في هذه اللحظة كانت أم مينا آتية في الممشى من الناحية المقابلة محتضنة كومة من الورود الشائكة

- ماذا جرى ؟..

فتولت الجدة العمياء الرد قائلة:

- إنني جننت ..لكن الظاهر أنكم لا تفكرون في إرسالي إلى مستشفى المجانين طالما لا أرمي أحداً بالحجارة ..!